## المحاضرة04: المقالة الذاتية.

تقدم الموسوعة الأمريكية المقالة الذاتية على أنها «تصريحات شخصية قصيرة واستطرادية، وهي مثيرة للجدل من حيث معناها ومفككة من حيث بنائها، إذ لا تلتزم بالبناء الفني للمقالة، ويكون التركيز فيها على بيان جانب من شخصية الكاتب، وهي تتراوح في الطول بدون نظام محدد وأسلوبها ذو طابع شخصي»[i]، وعليه فإنها لا تقدم معالجة منهجية أو تحليلية للموضوع، وقد تكون سردا أو وصفا أو انطباعا أو حلما، أو أي شيء آخر.

والمقالة الذاتية هي مقالة تعتمد على إبداع شخصي، ولا تحكمها قاعدة ويعتمد الكاتب فيها على حرارة علاقته بالقارئ، فهو يكتب عن الأشياء المألوفة أكثر من كتابته في الشؤون العامة أو المتخصصة ويكتب مرتاحا لأنه يبوح فيها عن مكنونات نفسه، وتقسم الموسوعة هذا النوع من المقالات إلى نوعين:

**1- المقالة المألوفة:** تقدم جانبا من شخصية الكاتب، كما تستجيب لتجربة أو موضوع أو حدث على ضوء مزاج مثير للجدل، ومع ذلك فإن عدم وجود الشكل المألوف للمقالة هو قناع خادع لتنظيم ماهر.

**2- مقالة الشخصية:** وتصف شخصية ممثلة للمجتمع من حيث ميزاتها المهيمنة، ومن ثم تغدو المقالة تعليقا ذاتيا على طبقة أو نمط ما، وغالبا ما يكون أسلوبها ساخرا.[ii]

وبما أن المقالة الذاتية «تعبير عن تجارب الكاتب الخاصة والرواسب التي تركتها الحياة في نفسه وضرب من الحديث الشخصي الأليف والثرثرة والمسامرة، وتألف الفكاهة، ولا تخلو من السخرية الناعمة أو الحادة تبعا لاتجاه الكاتب وألوان شخصيته محدثا لا معلما، يحدثه عن تجاربه ووجهة نظره بأسلوب بسيط يشع بالعاطفة والعبارات الموسيقية والألفاظ الجزلة دون جدل ونقاش»[iii]، فإن المقالة الأدبية تدخل ضمن إطارها، ما دامت تعبر عن تجربة حيوية تمرس بها الكاتب.

والمقالة الأدبية تكاد تكون شعرا منثور، فالذاتية طابعها وشدة الانفعال من أهم خصائصها، وتغلب فيها حرارة الوجدان على رزانة الفكر، كما تتمتع بالأسلوب الرصين والأخيلة الجذابة، والعبارات المبنية بناء متناسقا محكما، ويقتضي «الأسلوب في هذا اللون من النثر الأدبي التأنق في اللفظ، وجودة السبك، وتوليد المعاني، والمعرفة بأسرار اللغة، ووفرة المحصول من المفردات، والبصر بالكلام الجيد من المنظوم والمنثور، كل ذلك إلى جانب طبيعة مواتية وحس مرهف وذوق رقيق يهدي إلى مواطن الجمال»[iv].

وقريب من هذا التصور حول المقالة الأدبية ما يقدمه أحمد أمين في كتابه "فيض الخاطر" إذ يقول: «هناك نوع من المقالات هي المقالات الأدبية بالمعنى الخاص، وأعني بها الأدبية أدبا إنشائيا صرفا لا أدب بحث ودرس...، ذلك لأن هذه المقالة الأدبية لابد أن تنبع من عاطفة فياضة، وشعور قوي، فإن لم يتوفر هذا عند الكاتب خرجت المقالة فاترة باردة لا يشعر منها القارئ بروح، ولا يحس منها حرارة وقوة.»[v]

ومنذ نهاية القرن التاسع عشر برز العديد من أعلام العربية الذين كتبوا المقالة الأدبية، وكانت لهم مدارسهم فيها، فهناك **مدرسة التأنق اللفظي*** التي يرى أصحابها ضرورة التأنق في العبارة وجودة السبك من أجل ضمان جودة التأليف، وهناك **مدرسة الأسلوب المرسل*** التي يتحرر أصحابها من التأنق اللفظي والمحسنات البديعية مركزين على توصيل الفكرة بأسلس العبارات مع جودة التأليف والبعد عن التكلف والابتذال[vi]، ومهما تنوعت المقالة في موضوعها أو في نوعها، فإنها تتطلب قدرا من بروز شخصية الكاتب، وسعة زاده الثقافي، كما تقتضي القدرة على التركيز والتنظيم، والعرض السريع لمختلف الآراء إما لتنفيذها أو إثباتها دون استطراد أو إطناب، وهدفها الوصول إلى نتائج حاسمة انطلاقا من مقدمات.